

تصور الجامعة لتطوير الصناعات التقليدية والحرفية

د. / حروش رفيقة *

Abstract:

Cette intervention vise à relier l'Université algérienne au développement économique, y compris les industries traditionnelles et artisanales, et grâce à l'activation de la fonction contemporaine de l'Université, et l'impliquer dans l'héritage des industries traditionnelles pour les générations futures de préserver l'identité du peuple algérien et de la culture de la nation d'une part, et de contribuer à l'élaboration de produits artisanaux traditionnels, d'autre part, la recherche de la technologie scientifique et les méthodes créatives, et de surmonter les difficultés rencontrées par l'industrie.

Les mots clés: Industries traditionnelles et artisanales, Université, Développement économique.

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى ربط الجامعة الجزائرية بعجلة التنمية الاقتصادية بما في ذلك نشاط الصناعات التقليدية والحرفية، وذلك من خلال تفعيل الوظيفة المعاصرة للجامعة والمتمثلة في وظيفة خدمة المجتمع، ومن ثم إشراكها في توريث الصناعات التقليدية للأجيال القادمة للمحافظة على هوية الشعب الجزائري وثقافة الأمة من جهة، والمساهمة في تطوير المنتجات التقليدية الحرفية من جهة أخرى، بالبحث عن أساليب تقنية وحلول علمية وإبداعية، والتغلب على الصعوبات التي تواجهها هذه الصناعة.

الكلمات المفتاحية: الصناعات التقليدية والحرفية، الجامعة، التنمية الاقتصادية.

* أستاذة محاضرة (أ) - جامعة الجزائر 3

مخطط المقال:

مقدمة

- 1) واقع الصناعات التقليدية الحرفية في الجزائر
1-1 ماهية الصناعات التقليدية
- 2-1 سياسات تطوير الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر
- 2) رهانات الصناعات التقليدية من خلال الدور الحديث للجامعة
1-2 بعض تجارب مساهمة الجامعة في تطوير الصناعات التقليدية والحرف
- 2-2 آليات وإجراءات ربط الجامعة الجزائرية بالصناعات التقليدية والحرف

خاتمة

مقدمة:

تعتبر الصناعات التقليدية والحرفية من أهم العوامل القادرة على تحقيق التنمية الاقتصادية، وذلك من خلال دفع عجلة النشاط الاقتصادي وخلق مناصب الشغل وتحقيق العدالة في المجتمع، هذا بالإضافة إلى كونها عنصرا هاما في إبراز التراث الوطني والمحافظة على هوية الشعب وثقافة الأمة. وتنتج الأنتظار والدراسات الحديثة اليوم إلى الجامعة معتبرة إياها القاطرة التي تجر وراءها جميع القطاعات الأخرى، حيث تساهم في تطوير المجتمعات وتميبتها من خلال ثلاث وظائف أساسية والمتمثلة في إعداد القوى البشرية المدربة على العمل في كافة المجالات والتخصصات، وتطوير البحث العلمي، وخدمة المجتمع، ومنه فقد أصبح لكل جامعة رسالة ورؤية خاصة بها تتلاءم مع المجتمع الذي تنشط فيه. ولقد حان الأوان أن نجعل الجامعة الجزائرية قادرة على جذب قطاعات النشاط الاقتصادي المحققة للتنمية بما في ذلك قطاع الصناعات التقليدية والحرفية، من خلال تفعيل دورها في خدمة المجتمع، وإشراك جميع عناصر العملية التعليمية-التعلمية في وضع الأسس المعرفية والمنهجية، النظرية منها والتطبيقية، التي تضمن لهذه الصناعة التطور والرفق.

وتأسيسا على ما سبق، يمكن طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن للجامعة الجزائرية أن تساهم في تطوير الصناعات التقليدية والحرفية في ضوء الوظيفة المعاصرة للجامعة والمتمثلة في خدمة المجتمع؟

1) واقع الصناعات التقليدية الحرفية في الجزائر:

الصناعات التقليدية والحرف قادرة وبشكل فعال أن تساهم في تحقيق التنمية الشاملة وذلك من خلال تأثيرها على مجموعة من المتغيرات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية للمجتمع، كما أنّ هذه الصناعات قادرة على تنمية المواهب والإبداعات لدى الأفراد من خلال التأثير في سلوكهم وتفكيرهم وعاداتهم، ودفعهم للمشاركة في تنمية الاقتصاد الوطني، وتكوين مجتمع صناعي من الحرفيين، ضف إلى ذلك المساهمة في التخفيف من المشاكل الاجتماعية من خلال خلق مناصب الشغل والرفع من مشاركة المرأة في النشاطات الاقتصادية، وخلق نسق قيمي لأداء الأعمال من خلال توارث الأجيال للحرف عن طريق اكسابهم القيم داخل الأسرة الواحدة، كما تساهم هذه الصناعات في إشباع حاجات ورغبات الأفراد من خلال التعبير عن ذاتهم وترجمة أفكارهم وخبراتهم، وتحقيق الإشباع النفسي والقوة والسلطة لدى الأفراد.

1-1) ماهية الصناعات التقليدية:

صُنِّفت الصناعات التقليدية حسب المجلس العالمي للصناعة التقليدية سنة 1984 إلى أربع مجموعات هي¹:

1. الإبداعات ذات الطابع الفني وتتمثل في الأنشطة التي تكون منتجاتها ذات محتوى إبداعي والتي يتطلب إنتاجها مهارات وتقنيات مرتفعة؛
 2. الفنون الشعبية والفلكلورية وتعكس منتجاتها تعابير مستوحاة من تقاليد وثقافات محلية ووطنية وتتطلب درجة عالية من الكفاءة والتقنيات اليدوية؛
 3. الصناعات التقليدية وتشمل الورشات المنتجة لمنتجات ذات طابع تقليدي أصيل، والمصنوعة يدويا ولكن بكميات كبيرة؛
 4. والإنتاج الصناعي وتخص كل نماذج الصناعات التقليدية أو المواد المعاد إنتاجها بواسطة آلات أوتوماتيكية وبكميات كبيرة.
- أنّ "الصناعة التقليدية والحرف هي كل نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي وتمارس بصفة رئيسية ودائمة، وفي شكل مستقر أو متنقل أو معرضي، وبكيفية فردية أو ضمن تعاونية للصناعة التقليدية والحرف أو مقولة للصناعة التقليدية والحرف".
- ومنه، فإنّ الجزائر صنّفت الصناعات التقليدية والحرف إلى ثلاثة مجالات وهي:
1. الصناعة التقليدية والصناعة التقليدية الفنية، وتشتمل على صناعات تقليدية فنية (تزيينية) وصناعات تقليدية استعمالية (وظيفية)؛

2. الصناعة التقليدية الحرفية لإنتاج المواد، تشمل صناعات لمواد استهلاكية عادية ولا تكتسي طابعا فنيا وموجهة للعائلات وللصناعة وللزراعة ولها جانب ثقافي ينبع من هوية الشعب؛
3. والصناعة التقليدية الحرفية للخدمات، تمثل جميع النشاطات الخدمية المتمثلة في الصيانة والتصليح والترميم الفني للمحافظة على ثقافة وهوية الشعب الجزائري، حيث تمارس نشاطات الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر إما فرديا وتشمل نشاط الحرفي الفردي، أو في شكل جماعي وتشمل تعاونيات الصناعة التقليدية والحرف ومقاولات الصناعة التقليدية والحرف.

1-2) سياسات تطوير الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر:

استفاد ممارسو الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر من تحفيزات كثيرة أهمها التحفيزات الجبائية، والاستفادة من التغطية الاجتماعية من طرف الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي (CASNOS)، كما استفاد القطاع من مجموعة من التسهيلات منها تسهيل متطلبات إنشاء مشروع حرفي، وإعطاء استقلالية مطلقة في إدارة المشروع من طرف الحرفي، وهو ما أدى إلى تطور هذا القطاع نسبيا، ضف إلى ذلك الامتيازات المالية وتوفير الهيئات العامة لتقديم المشورة الاقتصادية والفنية والمساعدات المالية على غرار الصندوق الوطني لترقية نشاطات الصناعة التقليدية (FNPPAT)²، والوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ)، والوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر (ANGEM)، والصندوق الوطني للتأمين عن البطالة (CNAC).

استفاد أصحاب هذه الصناعات التقليدية والحرف من برامج لتكوين وتأهيل الموارد البشرية، أهمها برنامج (CREE/GERME) أي أنشئ وحسن تسيير مؤسستك، وذلك لدعم روح المقاولات وهو برنامج وضع من طرف المنظمة الدولية للعمل يقدم منهجية متكاملة لمنشئي ومسيري المؤسسات الصغيرة من خلال مساعدتهم على اختيار الفكرة المناسبة لإنشاء المؤسسة (TRIE)، وإنشاء المؤسسة (CREE)، والتسيير الأحسن للمؤسسة (GERME)³.

أُتيح الفرصة لأصحاب الصناعات التقليدية والحرف من الاستفادة من برنامج لتنسيق الأنشطة الحرفية من خلال مقاربة تشاركية سميت ببرنامج نظام الإنتاج المحلي (SPL)، الذي يسمح للحرفيين التنسيق والتأزر والتعاون داخل نفس فرع النشاط لدعم التنمية المحلية والتهيئة الإقليمية، كما دُعِم هذا البرنامج ببرنامج آخر وفي إطار التعاون الجزائري الألماني وهو برنامج (NUCLEUS) لدعم تأزر الحرفيين استمدت فكرته من ضرورة اجتماع الحرفيين داخل غرفة أو جمعية لتبادل الخبرات والتفكير معا في المشاكل المشتركة وإيجاد حلول لها،

كما تم استحداث الجائزة الوطنية للصناعات التقليدية بهدف تشجيع روح الإبداع والابتكار لدى الحرفيين الجزائريين ومكافأة أحسن الأعمال المنجزة.

استفادت الصناعات التقليدية والحرف من نفس الامتيازات التي حظيت بها المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وذلك من خلال وضع برنامج للترقية وتحسين التنافسية والتي تضمنها القانون التوجيهي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، نذكر منها برنامج ترقية المناولة والشراكة بين المؤسسات العمومية والخاصة من أجل تكثيف نسيج المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتمكين استعمال القدرات الوطنية الموجودة، بالإضافة إلى برنامج ميديا لتأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في إطار التعاون مع الإتحاد الأوروبي، وبرنامج التعاون الجزائري الألماني للتنمية الاقتصادية المستدامة⁴.

أما في مجال التسويق والتصدير والذي يعتبر العائق الأقوى لتنمية القطاع فقد اتخذت عدة إجراءات لتسهيل دخول المنتجات التقليدية والحرفية إلى الأسواق الوطنية والدولية وأهمها: الدعم المقدم من طرف الصندوق الوطني لترقية نشاطات الصناعات التقليدية بتقديم مساعدات على التصدير من خلال التعريف بالمنتجات عن طريق الإشهار وإصدار المنشورات والتكفل بجزء من التكاليف المرتبطة بمشاركة الحرفيين في المعارض داخل وخارج الوطن، وكذا الصندوق الوطني لترقية الصادرات، وهو صندوق مخصص للدعم المالي للعمليات والأنشطة لترقية الصادرات خارج المحروقات، حيث يتكفل الصندوق المالي بجميع الأعباء المتعلقة بمصاريف المشاركة في الأسواق والمعارض في الخارج، وتكاليف العبور والنقل الدولي وتمويل التكاليف المرتبطة بتكثيف المنتجات مع الأسواق الخارجية⁵.

أما الإجراءات المتخذة في مجال الترويج بالمنتجات التقليدية والحرفية من خلال تنظيم القطاع لمجموعة من التظاهرات قصد التعريف بالمنتجات وتسويقها محليا، وجهويا، ووطنيا، ودوليا، فتجسدت في الاحتفال بيوم 09 نوفمبر كيوم وطني للصناعة التقليدية (اليوم الوطني للحرفي) الذي يتم تقديم من خلاله الجائزة الوطنية للصناعة التقليدية، وتنظيم الصالونات المحلية والوطنية المتخصصة، والصالون الوطني للحرف، والتشجيع على تنظيم الاحتفالات بالأعياد المحلية، وغيرها من الصالونات الدولية لتبادل الخبرات بين الحرفيين الجزائريين والأجانب، ضف إلى كل ذلك إدماج الصناعات التقليدية والحرفية في مجال المعايرة عن طريق وضع جملة من المتطلبات والمعايير الموحدة لبعض المنتجات التقليدية، على غرار الزرابي والمنسوجات التقليدية لتحديد جودتها وإدراجها ضمن المنتجات القابلة للحصول على شهادة الجودة أو الدمغ لضمان جودتها.

إنّ استراتيجية الدولة لتطوير الصناعات التقليدية والحرفية والتي تجسدت في السياسات والإجراءات السابقة الذكر تبدي الإرادة القوية للدولة الجزائرية من أجل دعم هذا القطاع وتمكينه من المساهمة في تحقيق التنمية الشاملة للبلاد، إلا أنّ هذه الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر مازالت تواجه صعوبات كثيرة تجعلها غير قادرة على تحقيق المهام المنوطة بها، والتي يمكن تصنيفها في مجالات عدة وهي: صعوبات تمويلية، صعوبات إنتاجية، صعوبات تموينية، صعوبات تسييرية، صعوبات تسويقية، وصعوبات ترويجية.

تواجه أيضا صعوبات في تطوير هذه الصناعات لتتماشى مع متطلبات الزبائن الحاليين والمستقبليين، والسبب الرئيسي حسب رأينا هو غياب شبه تام لمساهمة الجامعة في تطوير هذا القطاع رغم أنّ أحد أهداف النظام التعليمي في الجزائر هو المساهمة في تطوير التراث الثقافي والتاريخي للبلاد، كما أنّ أحد أهداف التعليم العالي هو العمل على تحقيق الانسجام الكامل مع المحيط الاجتماعي والاقتصادي بتنمية التبادلات بين الجامعة والعالم المحيط بها، بالإضافة إلى أنّ التجارب العالمية المعاصرة تبرهن على أنّ تطوير القطاع لن يتم إلا بإقحام الجامعة في استراتيجية تطوير الصناعات التقليدية والحرفية من خلال المساهمة في التعريف بها، ومساعدتها علميا وعمليا على مواجهة الصعوبات التي تواجهها ولا سيما صعوبات التمويل، والإنتاج، والتسويق، والترويج، وكذلك خلق الروح المقاوماتية في مجال الصناعات التقليدية والحرفية لدى الطالب الجزائري، نظرا لأنّ الإحصائيات أثبتت أنّ أغلب الشاغلين في القطاع هم من مستويات دون الجامعي وهو ما يدعو إلى ضرورة إقحام الطبقة المثقفة في هذه الصناعة من خلال فتح المجال للجامعة لتصبح قطبا فعّالا لتطويرها. وبالتالي، فالصناعة التقليدية والحرفية في الجزائر بحاجة إلى مرافقة من طرف الجامعة الجزائرية والباحثين المختصين لتوجيه الحرف التقليدية وإبراز الخلفيات الثقافية والتاريخية المرتبطة بها.⁶

(2) رهانات الصناعات التقليدية من خلال الدور الحديث للجامعة:

تعرف الجامعة على أنها "مؤسسة اجتماعية طورها المجتمع لغرض أساسي هو خدمته"، وخدمة المجتمع حسب هذا المفهوم يشتمل على كل جوانب نشاطات الجامعة. كما يقصد بخدمة المجتمع أيضا بأنها النشاطات التي تقوم بها الجامعة لحل مشكلات المجتمع أو لتحقيق التنمية الشاملة في المجالات المتعددة. فخدمة المجتمع إذن وظيفة تضع الجامعة في مواجهة احتياجات المجتمع المحلي وترجمتها إلى نشاط تعليمي، وبدل ذلك على أن الخدمات التي تقدمها الجامعة تختلف من جامعة إلى أخرى حسب طبيعة هذه المجتمعات، وحسب احتياجاتها ومشكلاتها، وبالتالي فإن الجامعات في مجتمعاتها تصبح مراكز إشعاع حضاري وقوة دافعة نحو التقدم والازدهار.

(1-2) بعض تجارب مساهمة الجامعة في تطوير الصناعات التقليدية والحرف:

الجامعة هي "المصدر الأساسي للخبرة، والمحور الذي يدور حوله النشاط الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، فمهما كانت أساليب التكوين وأدواته، فإن المهمة الأولى للجامعة ينبغي أن تكون دائما هي التوصيل الخلاق للمعرفة الإنسانية في مجالاتها النظرية والتطبيقية، وتهيئة الظروف الموضوعية لتنمية الخبرة الوطنية التي لا يمكن بدونها أن يحقق المجتمع أي تنمية في الميادين الأخرى"⁸. وفي ظل التغيرات والتحولات العالمية المتسارعة، تمثل الجامعة أهمية كبيرة على صعيد تقدم المجتمعات ونموها، وثمة اتفاق سائد في الأدبيات المرتبطة بالتعليم العالي على أن الجامعة منوط بها ثلاث وظائف أساسية، هي التدريس، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع. وعلى الرغم من أن وظيفة خدمة المجتمع تحتل الرتبة الثالثة في هذا التصنيف، إلا أن توجهها عاما يذهب إلى أنها يجب أن تغدو الوظيفة الأولى بل والقائدة للجامعة. وقد تغيرت جامعة اليوم عما كانت عليه بالأمس، حيث أدركت أن الوظائف التقليدية لم تعد كافية لها، وأصبح يتطلب من الجامعة أن تبحث عن وظائف وأدوار جديدة تقوم من خلالها بتقديم خدماتها للمجتمع، فلا يتوقف دورها عند وظيفتي التدريس وإجراء البحوث، وإنما يمتد دورها إلى خارج مؤسساتها لتصل بخدماتها إلى مختلف القطاعات والفئات والأعمار، ولقد تبنت معظم الجامعات الأجنبية والعربية وظيفة خدمة المجتمع وأصبحت هدفا من أهدافها، ومن هذه الوظائف المهمة تطوير الصناعات التقليدية والحرفية التي تساهم من خلالها في المحافظة على شخصية وهوية أمتها، وفي تطوير أداء الاقتصاد الوطني ككل. وفي هذا الشأن، نعرض بعض التجارب العملية التي تبين مساهمة الجامعة في تطوير الصناعات التقليدية والحرف.

✦ الجامعة الإقليمية للحرف والفنون بفرنسا*:

وهي جامعة من نوع جديد أنشأت لخدمة الحرفيين من خلال إشراك الأطراف المستفيدة من الصناعات التقليدية والحرف بما فيها الجامعات، وهي عبارة عن شبكة تجمع جميع الفاعلين في ميدان التعليم والتكوين القادرين على تقوية وتطوير الصناعات التقليدية والحرف، وتهدف إلى تطوير فروع التكوين في هذا المجال، يجعلها تنتقل من التدريب والتكوين المهني إلى التعليم العالي، وهي جامعة "خارج الجدران"، تعمل على ربط التكوين الأولي للحرفي بتكوين آخر متواصل ومستمر من أجل إمداد المؤسسات الحرفية بالكفاءات المطلوبة، والاستجابة للمشاريع المهنية الجديدة بإنشاء التكوينات الملائمة، وكذا الاستجابة لحاجيات كل مقاطعة بما يضمن لها وسائل ذاتية أو تشاركية لإقامة مشاريعها الحرفية.

- تكوين مسيري وعمال المؤسسات التي تنشط في إطار الصناعات التقليدية والحرف؛
- توعية الشباب للعودة إلى القطاع الحرفي؛
- تطوير التعلّيمات؛
- اقتراح مجموعة من الخدمات الفعالة ووضعها تحت تصرف الحرفيين؛
- مرافقة الإبداع لدى المؤسسات، ومساعدتها على التكيف مع التغيرات المحيطة؛
- وتشجيع الابتكار في القطاع الحرفي.

كما تم إنشاء شبكة تعمل على جعل المعرفة رأس مال المؤسسة المصغرة الحرفية، من خلال النشر التعاوني للكتب والمقالات لجميع الأطراف الفاعلة في هذه الشبكة، وتعمل هذه الشبكة على تسهيل التعاون في قطاع الصناعات التقليدية والحرف ممثلا في المقاولين وأصحاب الصناعات الحرفية من جهة، والتعليم العالي والبحث العلمي مجسدة في الجامعات، والأساتذة الباحثين، وطلبة الدكتوراه من جهة ثانية، وتهدف الشبكة إلى نشر حوليات شبكة الحرف-الجامعة كل سنة، حيث تشتمل على خمسة محاور أساسية هي¹⁰:

1. مرافقة المؤسسة الحرفية؛
2. نقل المعارف؛
3. إنشاء المؤسسة الحرفية؛
4. استراتيجية الإبداع في المؤسسة الحرفية؛
5. والتعريف بالمقاربة الحرفية.

* Université Régionale URMA.

✦ مركز التنمية الحرفية بجامعة الحديدة باليمن:

تم إنشاء المركز من أجل الاهتمام والاحتفاظ بثقافة المجتمع وحضارته، والإسهام في إثرائها وتطويرها، وهو مركز تابع لكلية التربية، من مهامه الأساسية القيام برعاية وتطوير كافة الأعمال والحرف اليدوية، حيث أنشئ في المركز خمسة أقسام، وهي:

1. قسم الصناعات النسيجية؛
 2. قسم صناعة وإكثار العسل؛
 3. قسم الصناعات الجلدية؛
 4. قسم صناعة السجاد والخزف؛
 5. وقسم صناعة العقيق، وهو نوع من الأحجار الكريمة التي يشتهر بها اليمن، وهو ذو قيمة كبيرة ومصدر مهم للعملة الصعبة.
- ومن أهداف المركز¹¹:

- الكشف عن المخزون الكبير من التراث الإنساني والتعريف بأنماط تفكيره وثقافته؛
- تنمية وتطوير الصناعات والأعمال الحرفية بتوظيف التفكير المنظومي لها؛
- استحداث نسق في برامج التعليم الجامعي موازي للبرامج الأكاديمية يهتم بالصناعات الحرفية؛
- نشر الثقافة الحرفية وتصديرها والمساهمة في دعم وتطوير برامج الترويج السياحي؛
- رفع نسبة مشاركة المرأة في عملية الإنتاج بما يتناسب وتقاليدها المحافظة من خلال الامتثال الحرفي؛
- تنويع الإنتاج الحرفي وتوجيه وتطوير الاستثمار في العالم القروي؛
- التخفيف من الفقر وتقليل الضغوط القائمة على شبكات الضمان الاجتماعي عن طريق التأهيل والتدريب الحرفي؛
- وكما يهدف المركز عموماً إلى تطوير الأداء الحرفي في جميع مجالات المهن والحرف اليدوية من خلال إقامة دورات تدريبية وتحسين وتطوير التفكير المنظومي لهذه الصناعات، الذي يتطلب صناعة الأفكار الحرفية وتحويلها إلى إنتاج، وتطوير الآلات ومعامل الإنتاج الحالية، وتحسين عملية التغليف، وخلق أسواق داخلية وخارجية للمنتج الحرفي.

✦ تجربة مصر في ربط الصناعات الحرفية بالجامعة:

تعتبر تجربة مصر في ربط الصناعات التقليدية والحرف بالجامعة تجربة فنية ولكنة ثرية جدًا، حيث تبلورت في ثلاث مجالات وهي:

1. ربط المهرجانات السياحية للصناعات الحرفية التراثية بالجامعة؛
2. تجنيد أساتذة الجامعات للتقرب من المشروعات الحرفية والتعرف على مشكلاتهم عن قرب والعمل على دراستها وإيجاد حلول علمية لها؛
3. وإنشاء مصلحة بكل جامعة تدعى مصلحة شؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة.

ومن أمثلة ذلك¹²:

- استضافة جامعة الفيوم لفعاليات المهرجان السياحي الأول للصناعات الحرفية التراثية تحت رعاية رئيس الجامعة، وكان ذلك من 16 إلى 18 أبريل 2015 بالمكتبة المركزية بالجامعة، وقد أشاد الجميع في نهاية هذا المهرجان بأنه يحمل قيمة مضافة ورؤية موضوعية لانخراط الجامعة في المشاركة الفعالة في التنمية السياحية في مصر؛
- وخروج قافلة علمية من أساتذة جامعة المنوفية برفقة مدير إدارة الصناعات الحرفية بالمحافظة إلى ثلاث قرى للتقرب من الصناع في أماكن عملهم ودراسة مشكلاتهم الصناعية ودراسة البدائل الممكنة لحلها مثل الاعتماد على الفنون الحديثة والمعاصرة في التصميم، وزراعة حدائق التوت لإنتاج الحرير والتوقف عن استيراده من الصين، وإلى غير ذلك من التوصيات التي قدمها أساتذة الجامعة للصناع.

2-2) آليات وإجراءات ربط الجامعة الجزائرية بالصناعات التقليدية والحرف:

تعرف الجامعة من منظور المشرع الجزائري على أنها "مؤسسة عمومية ذات طبيعة علمية وثقافية ومهنية، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، بما يؤهلها للقيام بمهام التكوين العالي والبحث العلمي والتنمية التكنولوجية"¹³. وتتص كل المرجعيات والنصوص القانونية للدولة الجزائرية على أنّ النظام التعليمي الجزائري يركز على مجموعة من الأسس والأبعاد تتمثل في البعد الوطني، والبعد الديمقراطي، والبعد العلمي والعالمي، ومن أهم ما تركز عليه هذه الأبعاد هو مساهمة النظام التعليمي في تطوير التراث الثقافي والتاريخي للبلاد.

كما أنّ النظام التعليمي الجزائري، ومن خلال الأبعاد الثلاثة السابقة يهدف إلى بناء مجتمع متمسك ومعتز بأصالته، وتكوين المواطن الكفاء القادر على بناء الوطن في سياق التوجهات الوطنية والعالمية، وإكسابه روح التحدي لمواجهة رهانات القرن الحادي والعشرين والتكيف معها¹⁴.

تشهد بعض الجامعات الجزائرية وعلى غرار جامعات العالم نوعا من النشاط لخدمة المجتمع، وهو ما يدعو إلى تميمها والإشادة بها لتقتدي بها جامعات أخرى في الوطن، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: مخبر الصناعات التقليدية بجامعة الجزائر3، والذي يعتبر المخبر الوحيد على المستوى الوطني الذي يهدف إلى تطوير الصناعات التقليدية، كذلك من الجامعات التي اهتمت بالصناعات التقليدية، جامعة الوادي، من خلال إقامة يوم دراسي لدعم الشراكة بين الجامعة والمؤسسات المحلية، من أجل الاندماج الفعال بين الجامعة ومحيطها الاجتماعي والاقتصادي من خلال تسخير معاهد ومخابر الجامعة لخدمة المصالح العمومية، حيث تم إبرام ما يقارب 20 اتفاقية في هذا اليوم بين الجامعة والعديد من المؤسسات العمومية والخاصة من بينها مؤسسات لصناعات تقليدية وحرفية¹⁵.

كما انطلق في 30 ماي 2015 المهرجان الوطني الجامعي الأول للفنون التقليدية بمديرية الخدمات الجامعية لولاية أم البواقي بتأطير من الأسرة الجامعية تحت شعار "التراث في ظل التطورات التكنولوجية"، وهو المهرجان الذي شارك فيه وفدا كبيرا من الطلبة الجامعيين الذين أبدوا اهتماما كبيرا بالتراث والأصالة والصناعات التقليدية كما أشرفت المديرية الفرعية لأنشطة العلمية والثقافية والرياضية لجامعة المدية على تنظيم معرضا متنوعا يومي 06 و07 ماي 2015 وبمناسبة عيد الطالب والذي كان تحت شعار "إبداعات الطلبة" في كل الميادين المتعلقة بالصناعات التقليدية والبيئة، والطرز والخياطة التقليدية والعصرية، والطبخ، وصناعة الورد الاصطناعي، وكل أنواع الإبداعات والابتكارات العلمية. ومنه، فإننا نقترح آليات وإجراءات أخرى لتفعيل وظيفة الجامعة الجزائرية في خدمة المجتمع من خلال المساهمة في تطوير الصناعات التقليدية.

إنّ الجامعة ومفهومها التقليدي يجب أن يتغير، ولا يمكن تحقيق نجاح أي تغيير ما لم يكن مدعما بإرادة الإدارة العليا، ولهذا فإنّ إسهام الجامعة في تطوير الصناعات التقليدية في الجزائر يجب أن ينبع أولا وقبل كل شيء من إرادة الإدارة العليا للبلاد، مجسدا في:

- إدراج الوظيفة الثالثة والمعاصرة للجامعة في القوانين الأساسية للتعليم العالي، ووضع مراسيم تنفيذية لتجسيدها على أرض الواقع، ويكون ذلك بإنشاء مديرية في كل جامعة تهتم بعلاقة الجامعة بالمحيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للبلاد؛

* مخبر الصناعات التقليدية معتمد بموجب القرار الوزاري 145 المؤرخ في 14 أفريل 2012 من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

- إعطاء الاستقلالية الكافية لإدارة الجامعات والكليات للمبادرة في اتخاذ القرارات، وتنظيم التظاهرات الكفيلة بربط الجامعة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في البلاد، ولا سيما قطاع الصناعات التقليدية والحرفية؛
- إنشاء مراكز متخصصة في الصناعات التقليدية تكون تابعة للجامعات من أجل تشجيع أصحاب الشهادات العليا لإقامة مشاريعهم في هذه الصناعة؛
- واستحداث تخصصات جديدة في كليات التسيير وإدارة الأعمال تُعنى بإدارة مؤسسات الصناعات التقليدية والحرفية.

على مستوى عناصر العملية التعليمية-التعلمية في الجامعة، والتي حدّناها في ثلاثة عناصر أساسية وهي: الأستاذ والطالب والمنهاج، فيمكن اتخاذ التدابير التالية:

(1) على مستوى الأساتذة الجامعيين:

- تحفيز الأستاذ على الاحتكاك المباشر بما يحدث في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري، والتعرف عن قرب على مشاكل كل قطاع، بما فيه قطاع الصناعات التقليدية والحرفية، وإيجاد حلول لها سواءً عن طريق التفكير الفردي المبدع أو المساهمة الجماعية للأساتذة من خلال تنظيم خرجات لمعاينة واقع هذه الصناعات والمشاكل التي تواجهها؛
- خلق إطار قانوني محفز لتشجيع الأساتذة على تقديم خبراتهم في جميع المجالات المتعلقة بالصناعات التقليدية والحرف، سواءً في مجال التمويل أو الإنتاج أو التسويق أو الترويج، وذلك من خلال فتح دورات تدريبية لمقاولي الصناعات التقليدية والحرفية داخل أو خارج الجامعة؛
- ومساعدة الحرفيين وتدريبهم على إدارة مشاريعهم الحرفية الصغيرة، من خلال تدريبهم على مبادئ التسيير الحديثة.

(2) على مستوى الطلبة الجامعيين:

- تشجيع الطلبة على المشاركة في معارض الصناعات التقليدية والحرفية داخل الجامعة وإحياء المناسبات الوطنية والمحلية؛
- حث طلبة الجامعات على إجراء بحوث علمية تضم مختلف جوانب الصناعات الحرفية، واعتماد تصاميم جديدة للصناعات الحرفية، من خلال رفع جودتها بما يتناسب مع أذواق المستهلكين؛
- وخلق الروح المقاولاتية لدى الطالب الجزائري من خلال تحفيزه على إبراز قدراته وإمكانياته في مجال الصناعات التقليدية والحرف في الجامعة، وحثه على إنشاء مؤسسته الصغيرة بدلا من التمسك بفكرة الحصول على الشهادة الجامعية للبحث عن منصب عمل.

3) وعلى مستوى المناهج التعليمية:

على الجامعة الجزائرية ومن أجل مواكبة مستجدات العصر تبني المفهوم الحديث للمناهج التعليمية والذي يركز على مفهوم الأنشطة لجعل الطالب عنصرا فعالا في العملية التعليمية، وخاصة ما يتعلق بالأنشطة اللاصفية التي تفسح المجال للطالب لإبراز قدراته وإبداعاته، وذلك من خلال إدراج الصناعات الحرفية في المناهج الدراسية ما قبل الجامعية والجامعية من خلال التأكيد على ضرورة ممارسة المتعلم لأنشطة لاصفية، وخاصة ما يتعلق بالصناعات التقليدية والحرفية، والتعريف بمنتجات الطلبة في معارض طلابية داخل الجامعة، وبالتالي تحويل دور الجامعة من توفير المعرفة إلى إنتاجها.

خاتمة:

تعدّ الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر من أهم القطاعات التي يعول عليها لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وصولاً إلى تحقيق التنمية المستدامة، كما أنّ هذه الصناعات تعبّر عن مقومات الأمة الجزائرية وهويتها، ومنه فإنّ الجامعة الجزائرية اليوم وأكثر من أي وقت مضى مطالبة بتطوير هذه الصناعات التقليدية والحرفية من خلال تفعيل وظيفتها المعاصرة المتمثلة في خدمة المجتمع، وذلك من خلال إيجاد الإطار القانوني والعملية لتطوير العملية التعليمية - التعلّمية حتى تصبح قادرة على جذب الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر نحو التقدم والرفق.

من النتائج المتوصل إليها:

- رغم استفادة الصناعات التقليدية والحرف من سياسات تطويرية كثيرة إلا أنّها لم ترق بعد إلى المستوى المطلوب، حيث ما زالت هذه الصناعات تواجه صعوبات كثيرة أهمها: صعوبات تمويلية، وصعوبات انتاجية، وصعوبات في التموين، وصعوبات في التسويق والترويج، يجعلها غير قادرة على تلبية متطلبات الزبائن؛
- عدم مساهمة النظام التعليمي الجزائري ولاسيما التعليم العالي في تطوير الصناعات التقليدية والحرف؛
- عدم إقحام الطبقة المتقنة من طلبة الجامعات في الاستثمار في هذه الصناعات؛
- وعدم وجود مرافقة من طرف الجامعة الجزائرية والباحثين المختصين لتوجيه الحرف التقليدية والمساهمة في تطويرها.

وبناءً على نتائج التحليل، أدرجنا مجموعة من التوصيات التي يمكن أن نأخذ بها:

- إدراج الوظيفة الثالثة والمعاصرة للجامعة والمتمثلة في خدمة المجتمع في القوانين الأساسية للتعليم العالي؛
- إعطاء الاستقلالية الكافية لإدارة الجامعات لممارسة مهامها بما يكفل لها المساهمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولاسيما تطوير قطاع الصناعات التقليدية والحرف؛
- إنشاء مراكز متخصصة في الصناعات التقليدية تكون تابعة للجامعات؛
- استحداث تخصصات جديدة في كليات التسيير تُعنى بإدارة مؤسسات الصناعات التقليدية والحرف؛
- وتطوير عناصر العملية التعليمية-التعلّمية في الجامعة من طلبة وأساتذة ومناهج تعليمية بما يخدم المجتمع ويساهم في حل مشاكله، وخاصة قطاع الصناعات التقليدية والحرف.

الهوامش والمراجع:

- 1 ANQUETIL Jacques, «La présentation et le développement de l'artisanat utilitaire et créateur dans le monde contemporain, consultation d'experts sur La présentation et le développement de l'artisanat utilitaire et créateur dans le monde contemporain», Documents et rapports sur l'artisanat et le design. Rio de Janeiro, UNESCO, les 27-31 août 1984, p. 3.
- 2 المرسوم التنفيذي 301-08 المؤرخ في 24 رمضان 1429 هـ الموافق لـ 24 سبتمبر 2008م (الجريدة الرسمية، العدد 56-2008م) المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي 06-93 المؤرخ في 09 رجب 1413 هـ الموافق لـ 02 جـ في 1993م (الجريدة الرسمية، العدد 02-1993م) المحدد لكيفيات تسيير حساب التخصيص رقم 302-066 الذي عنوانه "الصندوق الوطني لترقية شاططات الصناعة التقليدية".
- 3 وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعات التقليدية سابقا، «دليل الحرفي: التكوين في قطاع الصناعة التقليدية والحرف»، الجزائر، 2007.
- 4 قرشي يوسف & غدير أسماء، «تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، بـامج ميداء»، ملتقى حول «الروح المقاولاتية والتنمية المستدامة»، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة، يومي 17 و18 أفريل 2007.
- 5 وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية سابقا، «دليل الحرفي: الدعم في مجال التسويق»، الجزائر، 2007.
- 6 الوزارة المنتدبة المكلفة بالصناعة التقليدية، «مخطط للمحافظة على بعض الحرف التقليدية الأيالة للإدثار»، بومرداس، 05 مارس 2015.
- 7 محمود أحمد شوق & محمد مالك محمد سعيد، «تقويم جهود الجامعات الإسلامية في خدمة المجتمع - دراسة مقارن»، المؤتمر القومي السنوي الثاني حول «الأداء الجامعي والكفاءة والفعالية والمستقبل»، جامعة عين شمس، مركز تطوير التعليم الجامعي، 31/10 - 11/2 1995.
- 8 ولد خليفة محمد العربي، «المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 177.
- 9 على الموقع الإلكتروني للجامعة، 2015/05/31، <http://www.artisanat-picardie.fr>
- 10 على الموقع الإلكتروني، 2015/05/31، <http://informetiers.org/ISM/publications/Ouvrages/Annales-du-Reseau-Artisanat-Universite>
- 11 موقع جامعة الحديدية باليمن، 2015/05/15، <http://www.hoduniv.net.ye/>

- 12 المهرجان السياحي الأول للصناعات الحرفية التراثية بجامعة الفيوم، 2015/05/29،
http://www.fayoum.edu.eg/newsdetail.aspx?news_id=6176
- 13 حديد مختار، «طبيعة علاقة الجامعة الجزائرية بمجتمعها: الواقع والتحديات»، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة
بسكرة، العدد 25، ماي 2012، ص ص 29-44.
- 14 المجلس الأعلى للتربية، «المبادئ العامة للسياسة التربوية»، الجزائر، مارس 1998، ص 26.
- 15 موقع جامعة الوادي، 2015/05/31،
<http://www.univer-eloued.dz>